

تعميق الصلّة بين الشباب والقيم الإسلامية

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ

حفظه الله تعالى

تعميق الصلّة بين الشباب والقيم الإسلامية

لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النسخة الإلكترونية (٢)

الشيخ لم يراجع التفريع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

ففي فاتحة هذا اللقاء أودُّ أن أبدي عظيم سروري واعتباطي بقاء معالي أخي الدكتور عبد الله الفيصل مدير جامعة الملك سعود العريقة لما نلّمسُهُ من نشاط وآثار بقيادة معاليه لهذه الجامعة.

ثم إنني أشكر له أيضاً إتاحة الفرصة لي للإسهام في برنامج الجامعة الثقافي لهذا العام لعلني أن أكون ممن حظي بوضع لبنة في أداء رسالة الجامعة في موضوعاتها التي تعني بها، فله مني الشكر والتقدير ولجميع الإخوة والأحاب في إدارة الجامعة وفي كلياتها وطلبتها، وجميع من حضر لهم مني التقدير.

وأسأل الله جل وعلا أن يجعلنا دائماً من المتعاونين على البر والتقوى.

هذا الموضوع؛ موضوع هذه المحاضرة:

الصلة بين الشباب والقيم الإسلامية.

والموضوع مهم في نظري واختياره كان موفقاً؛ لأن القيم الإسلامية إذا تُحدّث عنها فهو يتحدث عن الدين وعن الإسلام الذي هو عصمة أمرنا، والشباب لا شك أن العناية بهم مهمّة، وتلمّس أسباب النهوض بالشباب هو تلمّس لأسباب النهوض بالأمة وبقاء الأمة في قوتها وعدم ذوبانها في الحضارات والمدنيات المختلفة.

لهذا نرى أن الشباب بحاجة إلى عناية بموضوعات تؤصل ما ينبغي أن يعمل تجاههم كل بحسب مجاله، وما يمكن أن يعطي هذا الموضوع من إضافة أو من نظر وتأمل.

الشباب والقيم سأبحثه في عدة عناصر:

أولاً: ما هي القيم؟ في تعريف القيم، والفرق بين القيم والعادات، صلة القيم بالدين الإسلامي.

القيم تتعدد فيها المفاهيم وتختلف، خصائص القيم الإسلامية ولماذا التركيز عليها، أهمية القيم الإسلامية في هذا الوقت بالذات.

مرحلة الشباب وامتثال القيم، الإيجابيات والسلبيات، عوامل بروز امتثال القيم، وعوامل التفكك من القيم.

أيضاً نتحدث عن انفعالات الشباب وهموم الشباب وتأثير القيم الإسلامية عليها.

أسباب انحراف الشباب عن القيم أو ضعف تمسك الشباب بالقيم، أسباب ذلك، ما هي الوسائل الإجمالية التي يمكن أن تقوي التزام الشباب بالقيم الإسلامية.

لا شك أن الموضوع يمكن أن يضاف إليه غير هذه العناصر؛ لكن هذه تعطي إشارة أو إشارات لما يمكن أن يخدم هذا الموضوع.

القيم موجودة في التاريخ في كل أمة لها حضارة ولها مدنية، تنشأ بالطبيعة لها قيم، هذه القيم تعزز بها تلك الأمة لأنها من عناصر مميزاتها ومن أسباب بقائها؛ لأن كل مدنيّة ظهرت أو كل حضارة؛ بل وكل دولة لا بد أن يكون لها هدف، وهذا الهدف الوصول إليه والثبات عليه لا بد أن ينزل إلى القاعدة وهم الشباب؛ لأنهم الذين يستقبلون استمرارية تلك الحضارة أو المدنية أو تلك الدولة، وهذا يعني أنه ما من

كائن حي مدني يتحرّك -نعني به المجموعات المدنية- إلا وهناك مميزات له هذه المميزات يمكن أن يُطلق عليها القيم.

ولهذا عرف بعضهم القيم أو الحكم القيمي بأنه: تكوين فرضي ينشأ عن تفاعل المدركات العقلية لدى الفرد مع الوجدان أو مع الضمير -الإحساس-، ويصدر عنه في التطبيق مواقف حياتية مختلفة بما يكفي لتوجيه سلوكه على ضوء نسق القيم في المجتمع والدلالات القيمية التي يمثلها.

القيم الإسلامية عرّفت بأنها: تكوين فرضي لدى الفرد مُشَبَّع بدرجة عالية بالقيم الخلقية الإسلامية يحدّد الإطار العام للفعل السلوكي الإسلامي بما يمكن الفرد معه إدراج عناصر الموقف الاجتماعي واتخاذ القرارات الخلقية في ضوء البدائل المتاحة في ذلك المجتمع على بصيرة من الآثار اللاحقة للسلوك بما يتمشّي وروح الإسلام.

إذن هناك اتصال ما بين القيم والأخلاق الإسلامية بمفهومها العام، لهذا بعضهم يذهب عن مفهوم القيم وعن التعريف بالقيم وعن التركيز على القيم -كما يسمى-؛ لأجل اشتباه القيم بالعادات إلى شيء شرعي ومصطلح شرعي وهو الأخلاق، ويعبر عنه بالأخلاق الإسلامية، بدل القيم الإسلامية الأخلاق الإسلامية على اعتبار أن الأخلاق تشمل كل ما ذكر آنفا من صياغة العقل وبالتالي صياغة السلوك والعلاقة تجاه مجتمعه وعلاقاته بالآخرين.

لهذا قيل: إن الأخلاق الإسلامية هي مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي فقط لتنظيم حياة الإنسان وتنظيم علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه.

وهذا يُعطينا أن القيم حينئذ مع الأخلاق ذات صلة وثيقة، ولهذا جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

فإذن الأخلاق والقيم كانت موجودة عند العرب قبل الإسلام، وإذا كان مرجعها إلى العقل والتفكير والمجتمع العربي في ذلك الوقت القبلي أو القروي -يعني المدني- على ما فيه من ضعف أو ما فيه من اتجاهات كَوْن مجموعة من القيم أو من الأخلاق يربي عليها الشباب في وقته ويتلمذون لها وينشؤون عليها، فإن الإسلام لم يُلغِ القيم والأخلاق النافعة في الجاهلية؛ بل استفاد مما هو موجود ونمّا لأنه لا يمكن تجاهل القيم المفيدة لأي مجتمع ما؛ لأن روح الشريعة جاءت لرفع الإنسان إلى المستوى الذي أذن الله جل وعلا له به من كرامته -يعني في نفسه وفكره- وتفضيله على كثير من المخلوقات كما قال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

فإذن هذه المجموعة من الأشياء التي كانت في الجاهلية وكانت عند العرب جاء نبينا عليه الصلاة والسلام بتنميتها وتتميمها «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، الأخلاق الكريمة والقيم الكريمة هذه يُستفاد منها -إذا وجدت بمسمى العادة أو بمسمى الخلق أو بمسمى القيم- بما يتفق مع روح الإسلام في تحديد عبودية البشر لخالقهم جل وعلا، ومعلوم أن الإسلام جاء باتجاهين كبيرين:

الاتجاه الأول: في صياغة المسلم في نفسه.

والثاني: صياغة المجتمع المسلم ليبقى للمستقبل ولكي يواجه متغيرات الحياة والحركة الدؤوبة. ولذلك لا غرابة أن تكون المجتمعات؛ بل الأجيال يمكن أن تمثل بكائن حي له حركته المطلقة، له حركته التي لا تتوقع ما تُنتجه، لهذا كان من اللوازم أن يُستفاد من كل المعطيات الموجودة في القيم وتُنمى حتى يمكن أيضا أن يقدم شيء يجمع ما بين الاستفادة من الحاضر والنظر للمستقبل. وهذا الذي كَوَّن عليه شباب الصحابة رضوان الله عليهم، ولهذا كان أكثر الصحابة شبابًا، كما ذكر ذلك ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ تعالى في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف]، وكذلك كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿فَمَا أَمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: ٨٣]، وهنا قال: ﴿ذُرِّيَّةٌ﴾ يعني أنهم كانوا شبابًا يمكن الصياغة للمستقبل. فإذاً اختلاف هذه النظرة والقيمة والأخلاق وتعلق ذلك بالشباب هو في الواقع اختلاف في التأسيس البنيوي للشباب لما يراد أن يتوجهوا إليه في المستقبل بما يخدم الهدف، إذا تنوعت الأهداف تنوعت القيم تنوعت الأخلاق تنوع سلوك المجتمع أو سلوك الحضارة في تحقيق هذه القيم في الناس أو الاهتمام بها أو إلغاء تلك القيم.

مفهوم القيم أو مفهوم الأخلاق يختلف بلا شك حينئذ من مدينة إلى أخرى ومن حضارة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر ومن زمن إلى زمن، فإذا نظرنا في الزمن الحاضر قيم الشباب عند الغرب غير قيم الشباب عند المسلمين غير قيم الشباب عند الشرق فيه اختلاف. والآن وجود كثير من الضغط العالمي هو في الحقيقة لتكوين قيم واحدة في العالم ينشأ عليها الشباب وينطلقون منها، وتداعيات هذه الشمولية على أثر الشباب على مجتمعاتهم وولائهم وسائر هذه المنطلقات.

بهذا نقول: إن القيم تختلف اختلافًا كثيرًا في الناس، مثل قيم الأخلاق في التعامل مع الأصدقاء، قيم التعامل مع الوالدين، قيم التعامل مع الدولة، قيم التعامل مع الجنس الآخر من النساء والرجال، الأخلاق العامة من الكرم والإيثار والوقار، الكلام على بعض القيم كالاختلاط وحد ذلك، وعلاقة الرجل بالمرأة أو المرأة بالرجل، وحجج ذلك هذه كلها تختلف بلا شك، ويؤثر الاختلاف فيها والنظرة النظرة الدينية لها تختلف من مكان إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر.

إذا كان هذا كذلك بأن القيم تختلف، فما هي أسباب اختلاف القيم والمؤثرات على القيم في المجتمعات؟

من أهم الأسباب:

- التربية والنشء.
- والخلفية الثقافية.
- الثالث الالتزام الديني يعني أثر الدين على القيم.

- الرابع التأثير السياسي كمبدأ أو كنظرية تتجه إليها الدولة.
- مما يؤثر على القيم التفاعل الاقتصادي أو الحاجة الاقتصادية أو حاجات الحياة.
- مما يؤثر على القيم أيضا تتداخل المجتمعات وضغط المجتمعات بعضها على بعض.

وهذا كان التأثير فيه مبكراً، فعندما اختلط المسلمون في العصر الأول - القرن الأول الهجري - واختلط أولاد الصحابة من التابعين بالمجتمعات الأخرى الفُرس بالذات أو الشرق، واختلطوا أيضا في مصر ببعض، اختلفت بعض القيم على حد ما من الاختلاف، لهذا تولدت روح جديدة عند الأجيال صارت مزيج؛ يعني ليسوا على مستوى الصحابة في القيم، لكنهم أيضا كانوا أنزل درجة تأثروا بما هو موجود من القيم المختلفة، وهذا أثر على روح الجهاد، أثر على روح الولاء للدولة، أثر على النظرة للمال والإيثار، أثر حتى على الأدب؛ تأثرت القيم اللغة الأدبية ولغة الشعر أو معاني الشعر والمدرجات في ذلك الوقت اختلفت ما بين الشعر الإسلامي الأول والشعر بعد ذلك.

هذه كلها تأثير مجتمع كامل على الشباب الذين أصبحوا فيما بعد شيئا، وورثهم شباب أيضا أثرت عليهم البيئة والتربية حتى صار عندنا بعد قرنين من الزمان اختلاف كبير في القيم مع ثوابت؛ لكن دخلت قيم وأخلاق أخرى على المسلمين من جرّاء هذا الاختلاط.

لهذا نقول: إن التخلص من التبعية في القيم أن هذا لا يمكن؛ بل لابد من أن يكون هناك مزيج من القيم بحكم اختلاط المجتمعات حتى لا ننظر إلى الأمور نظرة فيها عدم واقعية؛ فنقول: لابد من تغيير القيم في الشباب، لابد بحكم اختلاط بحكم التأثيرات السياسية، بحكم الخلفيات الثقافية، بحكم السفر، بحكم الضغوط الاقتصادية، الحاجة المادية، تتغير كثير من القيم الأساسية في الدين والأساسية أيضا عند العرب في كثير من الأمور.

مثلا إذا نظرنا إلى خلق الكرم - خلق الإيثار -، هذا يحتاج أيضا إلى وضع مادي، يحتاج إلى مجتمع يساعد، يحتاج إلى أشياء كبيرة، فإذا تخلفت هذه القيمة والاختلاط يؤثر على ذلك.

فإذن النظرة الواقعية أن نقول في هذه الأمور: هل يمكن للمسلمين أن يوقفوا مد القيم الأخرى وتأثير تلك القيم على شباب المسلمين أم لا يمكن؟

في نظري أنه لا يمكن وقف تأثير الشباب بالقيم؛ لأن الإنسان مدني بطبعه وإذا اختلط فهو يؤثر ويتأثر في نفس الوقت، فلا يمكن إذن أن نعزل الشباب عن التأثير بالقيم الأخرى؛ لكن يمكننا أن ننمي بقوة وأن ندعم القيم الإسلامية والأخلاق الإسلامية في الشباب ضمن برنامج واضح حتى يكون الشباب على إطلاع كامل وعلى تربية كاملة في الحس الإسلامي للقيم والأخلاق الإسلامية بما ينطلق معه أساسا من دينه وعبوديته لله جل وعلا وعقيدته الإسلامية.

بهذا نقول: إن الإسلام لذلك رسم إطارا موحدًا للقيم، رسم صورة واضحة للأخلاق التي يجب أن يلتزم بها الناس أو يستحب أن يلتزموا بها، وهذه هي التي يدعو إليها الإسلام، يدعو الشباب إليها ويدعو المربين إلى أن يؤثروا على الشباب من خلالها.

هذا الإطار هو نابع من خصائص الشريعة وخصائص الأخلاق الإسلامية في مصدرها وفي تأثيرها.

إذا تبين هذا فنسأل السؤال: ماهي مميزات وخصائص القيم الإسلامية والأخلاق الإسلامية؟

أولا القيم الإسلامية: هي كل ما في الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح من هدي في السلوك والتفكير مما أثروا به على أنفسهم وعلى مجتمعهم وعلى أسرهم، ونمّوا بهذه القيم تفاعل المجتمع مع الواقع، وتحرك المجتمع نحو الإصلاح ترقية المجتمع أيضا في مواجهة تغيرات الحياة والتفكير.

فمن مميزات وخصائص القيم الإسلامية: أن هذه القيم ربّانية من عند الرب جل جلاله وتقدست أسماؤه، موصوفة بأنها وحي من الله جل وعلا، وهذا نعني به الأخلاق المتفق عليها والمنصوص عليها، أما هناك بعض الأخلاق مجتهد فيها فهذه ليست داخلية ضمن هذه الخصائص؛ لكن المتفق عليه ما جاء في النص من الكتاب والسنة يمكن أن نقول: أن من خصائصه أنه من عند الله جل وعلا وهو وحي، فإذا هو لازم للمسلم لا انفكاك له منه، ما دام أنه مسلم فيجب حينئذ أن يلتزم بهذه الخصائص، وكون هذه القيم الإسلامية ربّانية من عند الله جل وعلا يُكسبها صفات:

الصفة الأولى: أنها وحي، ويكسبها صفة القدسية والطهارة والنزاهة التي هي أكمل ما يصل إليه نمو الإنسان في عقله وتفكيره وخلقه، ومعلوم أن العقلاء والحكماء في المدنات المختلفة كان تأثيرهم وأملهم أن يجعلوا الناس في مستوى من الخلق ومستوى من القيم عالٍ بحيث يمكن أن يكونوا كما يقول بعض الفلاسفة: أن يكونوا مطهرين عن سفاسف الأمور عالين إلى طلب الحكمة والبحث عن حقائق الأشياء.

فديننا الإسلامي بأخلاقه وقيمه -على التعبير الشائع- مصدره الوحي، ولهذا ويكسب هذه القيم صفة القدسية والطهارة والنزاهة قال جل جلاله في محكم التنزيل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب)، والضلال هنا لا يتمثل بالإثم في الآخرة؛ لكن ضل أيضا عن الصواب فيما يصلحه في هذه الحياة الدنيا.

الصفة الثانية للشريعة الربّانية أو القيم الإسلامية وكونها من الرب جل جلاله: الشمولية فهي شاملة لكل مناحي الحياة، تدخل القيم هذه والأخلاق مع الإنسان في بيته في عمله في علاقته مع أهله، في علاقته مع الآخرين، حتى علاقاته مع الأنظمة وما يسن من التنظيمات الإدارية، في علاقته مع دولته، في علاقته مع الخلاف الموجود، في علاقته مع الآراء الأخرى التي تُطرح في المجتمع، كل مجتمع له حركة -مثل ما ذكرنا- ينتج عنها اختلاف في الآراء، فالقيم الإسلامية شاملة في تأديب وتخلق الشاب بكل ما يجعله عضوا صالحا في المجتمع ويتعد عن ما يؤخذ عليه.

ولهذا توصف بأنها شمولية لا تختص بميدان دون ميدان، فهي تربية كاملة تُفضي إلى توازن هذا العبد المكلف من الله جل وعلا، وقد قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النعام)، من تأمل المصنفات التي صنفها أهل الإسلام في كتب الحديث وكتب الفقه والآداب وجد أن حياة المسلم من أن يستيقظ من نومه حتى ينام مرة أخرى أنها كلها مترددة

ما بين حكم يطلق عليه واجب أو محرم أو مكروه أو مستحب أو مباح، فلا يمكن أن يخلو حال من الأحوال إلا وله حكم بحسب ما ألف علماء الإسلام ونقوله من النصوص في ذلك أو من فقه النصوص. من صفاتها أيضا أنها تتسم -القيم الإسلامية- بالوسطية والتوازن ورعاية متطلبات الواقع، قال جل وعلا في وصف الأمة وفي وصف تشريع الإسلام: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فأمة الإسلام وسط لأن الشريعة ربانية وهي وسط؛ وسط في أبواب العقيدة، ووسط في أبواب الحكم والتحاكم، وأيضا وسط في أبواب الأخلاق.

فإذا نظرنا إلى الأخلاق التي يَنْشُدُها مثل بوذا ونحوه والأخلاق التي يروج لها اليهود وجدنا أن الشريعة في هذا الأمر وأنها وسط في الأخلاق ما بين الذي يغلو في تنزيه النفس حتى يُفقدَها المرونة والانطلاق في المجتمع وما بين الذي يجعل أن الأخلاق هي السيطرة والقوة دون رعاية لجانب الخلق الكريم والقيمة التي يحب الناس أن يتعاملوا مع بعضهم البعض فيها. قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ عند هذه الآية: وسط الوادي خير موضع فيه وأكثره كلاً وماء، ولما كان الوسط مجانباً للغلو والتقصير كان محموداً.

فحينئذ إذ كانت الشريعة والقيم الإسلامية وسطية، حينئذ نرى أنها تعمل على تحقيق التوازن النفسي لدى الفرد، وأنها تُشبع وتضبط الحاجات ومتطلبات الفسيولوجية الأولية والحاجات النفسية والوجدانية والحاجات الاجتماعية وعلاقة الإنسان بمن حوله، وهذا أكثر ما ينظر فيه إلى مرحلة الشباب؛ لأنها مرحلة التغير الحتمي؛ بل التغير [الشهري] في المنطلقات والأهداف والآراء والرغبات.

أيضا من صفاتها أن الأخلاق الإسلامية مبنية على الشريعة، والشريعة من صفاتها الاستمرارية والثبات قال جل وعلا: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَنْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [يونس]، فإذا وحده مصدر هذه الأخلاق والقيم يدعو إلى استمرارية هذه القيم وأنها قيم ثابتة، قيم فيها المصلحة للحياة؛ حياة الفرد وحياة المجتمع.

أيضا من خصائص القيم الإسلامية والأخلاق الإسلامية موافقة هذه القيم للفطرة وما جعل الله جل وعلا عليه الإنسان قال تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم].

إذن الذي شرع هذه القيم والأخلاق هو الذي سوى النفس البشرية، فإذا صلاح النفس البشرية لا يكون في مثالياتها في نفسها وفي المجتمع لا يكون إلا بالرجوع إلى هذا المصدر الذي سوى هذه النفس البشرية وجعلها في الفطرة التي رزقها الله جل وعلا.

والفطرة هي التوحيد وما يلزم من توحيد الله جل وعلا من أن جميع الأعمال والأخلاق والقيم تعود إلى تقوية توحيد الله جل وعلا في نفس العبد وعبوديته لله جل جلال الواحد الأحد.

لهذا نقول: إن موافقة القيم للفطرة يمكن أن يتمثل في أنها واقعية، ليست خيالية وليس فيها تكليف للإنسان بما لا يستطيع أو تكليف للشباب بما لا يستطيع، بل واقعية تلبي حاجات الشاب ولكن أيضا لا

تسير معه وفق شهوات لا انضباط لها؛ بل تعطيه ما يحتاج إليه وتربيته على ما هو الأفضل له في حاضره وفي مستقبله.

لهذا ربنا جل جلاله لا يكلف نفساً إلا وسعها كما قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يعني لا يأمرها بالتعب إلا بما يسعها فلا يضيق عليها ولا يجهدا بما أمر به. ولهذا قال الله جل جلاله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، والقيم والأخلاق تدخل ضمن شريعة الإسلام؛ يعني ضمن الدين.

أيضا من خصائصها أنه يمكن أن تطبق لأنها واقعية وموافقة للفطرة فيمكن أن تطبق؛ بل إذا حصل التعب من الشاب لله جل وعلا رغب في تطبيق تلك القيم والأخلاق ورآها أنسه وسعاده؛ بل رأى هذه القيم والأخلاق هي الجمال فيما يراه في حال الناس، وهناك ارتباط ما بين الأخلاق والقيم والجمال مما يحدث الانحراف في القيم - كما سيأتي إن شاء الله -، الرغبة في الجمال، ربما يكون جمال الفكر، ربما يكون جمال التصرفات، جمال الحرية، إلى آخر أنواع الجمال التي يتجه إليها الناس؛ لكن هذه القيم الإسلامية تكون وضع المسلم في صورة جميلة لهذا في قول النبي ﷺ لما رواه مسلم في «الصحیح»: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ» أن قيم الإسلام وأخلاق الإسلام هي تكون هذا الجمال الذي يحبه الله جل وعلا، إذا نظرت إلى خلق المسلم في تعامله في نفسه في تعامله مع من حوله مع والديه مع جميع أصناف الخلق حتى تعامله مع غير المسلمين، خلق المسلم في تفاعله مع المجتمع، خلق المسلم في إشارته في محبته للآخرين ما يحب لنفسه، وجميع ما يدخل تحت الأخلاق الإسلامية تجد أن هذا يكون صورة لا يوجد أجمل منها في التشريعات؛ لأنها من عند الله جل جلاله.

أيضا مما تتسم به القيم عدم معارضتها للعقل الصريح: العقل يختلف فيه الناس هذا عقل يحس؛ لأن القيم أو الأخلاق تكون على نحو ما لكن إذا نظر بالعقل الصريح؛ العقل الذي يوازن ما بين المصالح والمفاسد وجد أن القيم الإسلامية هي القمة في تحقيق توازن إنساني في تصرفات هذا الإنسان، وذلك يعني أن المسلم - إذا طبق الإسلام في أخلاقه - فهو الصورة الحسنة المثلى فيما أمر الله جل وعلا به.

من سماتها أيضا أن القيم الإسلامية تسعى لتحقيق الغايات الاجتماعية: المجتمعات لها غايات، وتارة تدرك هذه الغايات وتصور الفرد، وتارة لا تدرك هذه الغايات؛ ولكن تدرك بتحريك المجتمع إلى شيء ما، والمجتمعات تتحرك تارة بعقل شعوري وتارة بعقل لا شعوري، ولهذا نجد أن تفكير الإنسان في مجموعة يختلف عن تفكيره مع نفسه؛ بمعنى أن عقل الإنسان في إطار أو جماعة أو نحو ذلك يختلف تماما عما إذا رجع لنفسه وفكر بنفسه، وهذا يعني أن الإنسان سيتأثر بالقيم المطروحة، فإذا كانت القيم المطروحة يقودها المجتمع باللاوعي واللاشعور والمجتمع قد يوجه ويضغط عليه وتجد أن الناس يتحركون في طريق لا يشعرون أن هذا الطريق فيه مصلحتهم أو فيه هأويتهم، ولهذا كان من اللوازم الاهتمام بالقيم الإسلامية والأخلاق الإسلامية لأنها من عند الله جل وعلا؛ ولأنها فيها مصلحة الحاضر والمستقبل؛ ولأنها تقي أيضا من أن يتجه المجتمع بضغط من أنواع الضغوط إلى اتجاه وإلى مستقبل لا يعلم، وهذا من عناصر التأثير النفسي في المجتمعات وخاصة الشباب في أنه يقنع الشباب بأشياء يتجهون

إليها وتجد أن الشخص لا يمكنه أن يتخلى عن اتجاه المجتمع، وهذا يلحظه الإنسان في بيته مع أولاده، يلحظه مع الشباب.

هؤلاء الشباب في مجتمع إذا نظرت إلى القرية مثلاً وجدت أن الشباب يعيشون سعداء ويتمثلون القيم أكثر من المدينة الصاخبة لماذا؟ لأن المدينة الصاخبة تتجه بالناس في اتجاه في الواقع هو يفرض عليهم لا تختاره؛ لأنها ما وصلت إليه بقناعات؛ لكن السيل مشى في اتجاه تجد أن الجميع يمشون في هذا الاتجاه.

فإذا كان الأمر كذلك كان من الواجب أن يكون هذا الاتجاه وهذا السيل -إن صح التعبير- الذي يؤثر على العقل باللاوعي بالواقع ويمشي في هذا الاتجاه بدون تفكير فإنه يجب أن يكون هذا منطلقاً من شريعة الإسلام؛ لأن الناس ربوبيتهم لله جل جلاله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات].

آخر سمة من هذه السمات التي تحضرني في هذا المجال أن القيم الإسلامية والأخلاق تحفظ للحضارة الإنسانية توازنها، والحضارة الإنسانية إذا لم تلتزم بقيم الإسلام فإنها ستنتهار يوماً ما؛ لأنه ليس القيم العقلية التي لا تنضبط بضوابط ليس لها صفة أو ليس لها دعائم البقاء والاستمرار؛ لأنها بشرية، والبشر يداولهم الله جل وعلا أمة بعد أمة؛ لكن الأمة التي اختار الله جل وعلا بقاءها والدين الذي اختار الله جل وعلا بقاءه إلى قيام الساعة هو دين الإسلام، ومعنى ذلك أن هذه القيم الإسلامية والأخلاق الدينية والإسلامية هذه تضمن للحضارة الإنسانية توازنها وخدمة الإنسان.

وأما غير هذه القيم وهو في الواقع يجني على الإنسان ويؤثر في حق من حقوقه.

ما أهمية القيم الإسلامية؟

بعد هذا العرض للسمات، هل هي مهمة لهذه الدرجة لنا في التأثير على الشباب؟ أو أنه يمكن أن يكون الشباب أقوياء، ويمكن أن يوثروا في الإنتاج وفي العمل وفي قوة الأمة دون أن يكون لهم هذه القيم التي نتعصب لها أو التي تعرض لها ونتحمس لها؟

في الواقع أن القيم الإسلامية لنا -في نظري- من أهم المهمات في التفكير، حتى التفكير المنطقي الذي يمكن أن يفكر به غير طالب علم شرعي أو غير مهتم بالدعوة الإسلامية.

لماذا؟ لأن أمتنا قوامها وقوتها في دينها، ولا يمكن للأمة أن تبقى إلا بنوع من التعصب والتكتل، فإذا لم تتعصب وتكتل وتلتف حول جبل واحد وحول مبدأ واحد فإنها تكون حينئذ معرضة للذوبان، وهذا أكبر ما يواجه المجتمع من جرّاء تحكيم القيم عند الشباب أنها تعرض هذا المجتمع إلى الذوبان في الآخرين، وإذا ذاب المجتمع في الآخرين أصبح قلبه وعقله معلقاً بأمة أخرى، وهذا تلحظه في الذين صارت لهم رغبات في الاتجاه للحياة الغربية كأ مثلة منهم من لا يحب أن يرجع ليعيش في وطنه وفي بلده لأنه رأى من القيم انسلخ منها، واليوم يشكو لنا المسلمون في أوروبا وفي أمريكا الشمالية والجنوبية يشكون من ذوبان الجيل الثاني والثالث والرابع، من ذوبان هذه الأجيال في الأمم التي عاشوا فيها.

بل تصل لنا تقارير بشكل أو بآخر من تلك الدول أنها تقول: أن الدول إننا لم نستصف هؤلاء الناس هؤلاء الفئات من العرب والمسلمين إلا ليدوب أبنائهم في المجتمعات الغربية ويؤثروا على الإنتاج وعلى المصنع ويخدموا العمل، وأما إذا كانوا سيقون متمسكين بالمبادئ الإسلامية والعقيدة والقيم فإنه حينئذ لم يتحقق الغرض من وجودهم في ذلك.

هذا يعني أن هذه المجتمعات هذه العينات من الناس كما زادت في أوروبا وأمريكا -يعني زاد عدد كبير منهم- فإنهم يمكن أن تذوب عندنا يمكن أن تذوب في أي بلد، واليوم ترون أن التأثيرات المختلفة على الشباب متنوعة، الشاب إذا لم يلتزم ويُرَبَّى على القيم الإسلامية فإنه حينئذ لا ضبط لتصرفاته؛ لا على نفسه ولا على أسرته، ولا على مجتمعه، ولا حتى على الدولة في نفسها؛ لأنه سيتج عددا كبيرا من التصرفات لا يمكن أن تنضبط بضابط، والوطنية وحدها ليست بكافٍ في بقاء التكتل أو بقاء وحدة الأمة؛ لأن هذه الأمة وحدتها في دينها، وإذا كانت الوطنية تبعا فإن هذا من الخير؛ لكن إذا كان أساسا مع تنازل عن القيم الإسلامية وفتح المجال للقيم الغربية والمؤثرات ليدوب الشباب فيها حينئذ يُفقد هذا الناس من فاعليتهم تجاه التمسك بأساس ومقومات المجتمع والدولة الذي هو أساس البقاء والاستمرار في المستقبل.

لهذا لا نستغرب أن يوجد في مثل برتوكولات صهيون.

في البرتوكول الثالث عشر مثلا: أن يقول قائلهم: يجب أن نعمل لتنهيار الأخلاق في كل مكان لتسهل سيطرتنا.

وفي البرتوكول العاشر يقول: سوف ندمر الحياة الأسرية بين الأميين ونُفسد أهميتها التربوية.

ويقول أيضا في البرتوكول الثالث: قد خدعنا شباب الكفار -ويعني بهم غير اليهود الكلام من البرتوكولات- قال: وأدركنا رأسه فأفسدناه بتلقيه المبادئ والنظريات التي نعرف أنها خاطئة على الرغم أننا نحن الذين قمنا بتعليمها.

هذا هو الذي نتج في أن المجتمعات تتجه إلى اتجاه عقلية يسيطر عليها الإعلام، تسيطر عليه التجارة، وأنتم لنا عقليات لا يمكن أن تكون مثمرة بأمثنا.

مرة الطائرة بين الرياض وجدة جلس بجنبي أحد الشباب، وكان لابسا لباسا غربيا -وهذا حكاية للواقع وخير إن شاء الله-، أنا ظننت أنه غير سعودي، فلما جرى الحديث معه الحديث في الطائرة إذ هو سعودي ومن أسرة معروفة، أتكلم معه، المنطق مختلف؛ يعني فيه تباين بين لغتي ولغته، فيه تباين ما بين المسلمين عندي والمسلمات عنده، فيه تباين ما بين عرض المعلومة والتساهل فيها والبحث بيني وبينه.

فلحظت حينئذ أن الشباب إذن يمرون بمرحلة ليس فقط تغيير القيم؛ ولكن تغيير التفكير نحو القيم تغيير التفكير؛ هل هذا صحيح أو ليس بصحيح؟ الآن يناقشون، لماذا؟ ما فيه شيء، يعني هذا شيء طبيعي رجل يتعاشر مع امرأة، شيء طبيعي من متطلبات الحياة الإنسانية، طبيعي إذا كان أنه كذا ونحو ذلك، وهذا في الحقيقة يوجب على المربين أن يدرسوا كيف يخاطب هذا الجيل؛ لأننا أيضا لا نريد أن

نخاطب أنفسنا بعد أن سمعنا من هذا الكيد وهذا التركيز في صد الشباب عن القيم والأخلاق الإسلامية، لا نريد أن نخطاب أنفسنا أيضا بمثل هذه المحاضرات، لابد أن تقوم دراسات في تفكير هؤلاء الشباب - والشببة الجمع الصحيح للشباب والشباب والشببة -، كيف يفكر هؤلاء الشببة؟ حبذا لو تقوم دراسات ميدانية، ويُتصل هؤلاء الشباب بأماكن تجمعهم في الملاعب في المقاهي في الشوارع، كيف يفكرون؟ وكيف يستطيع الدعاة؟ وكيف يستطيع المربون أن يخاطبهم بلغتهم؟ لأن الله جل وعلا يقول ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، فإذا كان وجدت أنا بعد في المسافة بيني وبين شاب في التفكير وفي اللغة وفي التعامل مع المسلمات فحينئذ يظهر أن القضية ليست قضية سهلة.

الموضوع ما أحب أن نطيل حوله؛ لكن الفرق بين القيم والعادات.

القيم والعادات لاشك بينها اتصال وبينها فرق.

العادات والاجتماعية تختلف ما بين بلد وبلد؛ لكن القيم الإسلامية ثابتة لأن مصدرها الوحي ثم العادات تختلف، فهل نحن نركز على العادات أو نركز على القيم؟ نقول: إن التركيز في التربية يجب أن يكون على القيم الإسلامية لأنها ثابتة، أما العادات فإن الشريعة جاءت بتتيميم مكارم الأخلاق «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فإذا كانت هذه العادة تدرج تحت أصل شرعي فإن المحافظة عليها متعينة، وأما إذا كانت العادة من حيث هي لا تدرج تحت أصل شرعي فيُنظر في التمسك بها والمحافظة عليها بحيث مصلحة المجتمع أو عدم مصلحته.

العادة عُرِّفت بأنها: حال للنفس داعية إلى أفعال من غير فكر ولا روية.

وعُرِّفت أيضا بأنها: اكتساب مهارات تحرك الإنسان وقدرة على استخدام تلك المهارات بطريقة شعورية. وأقول أنا: أيضا بطريقة غير شعورية.

العادة ليس لها صفة الثبات والاستمرارية؛ العادات تتغير، الآن إذا نظرنا إلى مجتمعنا عادات الشباب بدأت تتقارب، شباب في وسط نجد مع شباب في منطقة الجنوب مع شباب في الحجاز مع الشباب في الشمال، العادات بدأت تتقارب قبل ستين سبعين سنة العادات مختلفة، هذه العادات لا يهمنا شأنها كثيرا؛ لكن الذي يهمنا منها أن تكون موافقة للشريعة.

من الأشياء الخطرة نحو القيم أن يستعمل المربون - الخطرة في نظري - أو مؤثرة ما نحب نبالغ، أن يستعمل المربون أن يستعمل المحدثون وصف القيم الإنسانية والأخلاق الإنسانية، وإذا جاء عمل خير يدعونا إليه ديننا وهو في الكتاب والسنة لا نسميه عملا إسلاميا أو خلقا إسلاميا؛ بل يذهب ويسميه البعض عمل إنساني أخلاق إنسانية، هذا لاشك أنه من المصطلحات المؤثرة على نفسية الشباب والتي تنقله من الانتماء إلى الشريعة - الانتماء إلى الدين ومن تلقية هذه الأشياء من الوحي - إلى أن ينظر إليها نظرة عامة إنسانية، وهذا بالتالي سينقله إلى التأثير بالأخلاق الإنسانية التي يستحسنها عقله وربما جاءت الشريعة بمضادة ذلك.

هنا نقطة ما أحببت أن أعرض لها في الأول وإنما نعرض لها هنا: إن الشاب -يعني اختيار عنوان المحاضرة الشباب- الشاب ما صلته بالقيم، الشاب أكثر الناس تأثراً بالقيم لأنها فترة بناء، وقد قال الله جل وعلا: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [النحل: ٧٨]، فإذا الشباب يتلقى القيم المختلفة وتكون عنده متراكمة، والآخر يقول يعني الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فإذا قلب الشاب وعاء، إما أن يغرس فيه القيم الإسلامية أو يغرس فيه غير القيم الإسلامية شاء الأب لم يشأ، شاء المربون أم لم يشأ المربون، فلا بد أن يكون ثم هذا أو هذا، فلهذا المبادرة إلى غرس القيم الإسلامية بل تعاليم الدين وغرس الأخلاق، وتتمكن فيه حتى تكون إلها له بعد ذلك وقناعة له بعد ذلك، ولهذا نلاحظ بأمور الشريعة في العبادات قول النبي ﷺ: «مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع»، والنبي ﷺ قال لابن عباس وكان غلاما يافعا يعني كان شابا «يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» غرس من البداية للقيم لأنه إن لم يغرس المربون، إن لم يغرس ولي الأمر -الأب- في ولده، أو مدير المدرسة، أو من يكون مربى فإنه سيغرس فيه شيء آخر وحينئذ نذهب عن العبودية الحققة لله جل جلاله. لماذا الشباب يهتم بهم؟ لأننا وجدنا أن تربية الأنبياء كانت متجهة للشباب، قال جل وعلا: ﴿فَمَا أَمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: ٨٣]، قال ابن كثير رحمه الله: يخبر تعالى أنه لم يؤمن لموسى عليه السلام مع ما جاء به من الآيات البينات والحجج القاطعات والبراهين الساطعات إلا قليل من قوم فرعون من الذرية وهم الشباب على وجل وخوف منه ومن ملئه أن يردوهم على ما كانوا عليه من الكفر.

وقال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]، وفي الحديث عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ «اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم» قال عبد الله سألت أبي عن تفسير هذا الحديث قال: يقول: الشيخ لا يكاد أن يسلم، والشباب يكاد يسلم كأنه أقرب إلى الإسلام من الشيخ لأن شرح الشباب أقرب إلى القبول. والعلماء يعتنون في التربية السلوكية بمصطلح الفتوة ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام كثير في ذلك لا نحسب أن نطيل في الكلام فيه.

أنس بن مالك رضي الله عنه قال في قصة بئر معونة كما رواها الإمام أحمد في «المسند»: كان شباب من الأنصار سبعون رجلا يقال لهم: القراء. الحديث.

يعني القراء لما قتلوا في بئر معونة قال أنس بن مالك: (كان شباب من الأنصار يقال لهم: القراء) معنى ذلك أن النبي ﷺ كان اهتمامه بغرس العلم والاهتمام به، كان اهتمامه بهؤلاء الشباب هم الذين حملوا العلم عنه، وهم الذين أيضا بقوا إلى زمن متأخر، هذا أنس بن مالك بقي بعد النبي ﷺ نحو من مائة عام،

وآخر الصحابة وفاة توفي بعد المائة من الهجرة، وهذا يعني أن الاهتمام بهذه النوعية من الناس لغرس القيم هو بقاء لهذه القيم لأجيال؛ لأن الشباب الاهتمام بهم هو اهتمام بالمستقبل في ذلك.

لا شك أن الشباب لديهم انفعالات، وهذه انفعالات تختلف باختلاف المجتمعات، باختلاف التربية، والقيم لها تأثير على انفعالات الشباب لابد؛ لأن انفعالات الشباب تارة إيجابية وتارة سلبية.

من أهم الانفعالات -أظن يضيق الوقت عن تفصيل الكلام حولها- انفعال السفه، الانفعال العاطفي؛ الرغبة في إقامة علاقات عاطفية أو جنسية، انفعال الغرور والكبر والمجادلة، فرض الرأي، انفعال الخوف والقلق من المستقبل، انفعال الغضب، انفعال الرغبة في التميز والإبداع والظهور.

هذه الانفعالات الإيجابية والسلبية لابد من التعامل معها وتوظيف هذه الانفعالات بما يخدم المجتمع؛ بل بما يكون به الشاب عبدا صالحا لله جل جلاله.

الشريعة والأخلاق الإسلامية لا تغفل هذه الانفعالات سلبا أو إيجابا؛ لأن هذه الانفعالات قدّرها الله جل وعلا في الشاب قد جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «عجب ربنا لشباب ليست له صبوة» فالله جل جلاله هو الذي جعل في الشباب هذه الانفعالات العاطفية والرغبة في الاتصالات المختلفة الانفعال الغضبي وحتى أحيانا على والديه^(١) يكون غير مؤدب أو ربما يعقّ والديه بنوع من الانفعال وعدم التوازن، خلقه يكون مرة حسنا ومرة غير حسن، هذه الانفعالات المختلفة في نفسية الشاب المربي يجب أن يوظفها ويستفيد منها في تركيز القيم الإسلامية والأخلاق الدينية في نفس الشاب.

مثلا ما يسميه علماء السلوك في الماضي الفتوة؛ الفتوة امتلاء الشباب بمعالم الفتوة والقوة والرغبة في البروز والفروسية والكرم والتميز إلى غير ذلك من السمات، هذه صفة محمودة، الآن المجتمعات تتجه إلى أن هذه الانفعالات القوية والرغبات المختلفة التي ترجع إلى الفتوة بحسب مصطلح علماء الإسلام الأولين توظف الآن إلى أنها تروج في الرياضة بشكل يزيد عن الحد، توظف في الانفعالات في مثل الغناء والحفلات الغنائية وما شابه ذلك، والازدياد في هذا المجال؛ لأنه نوع من تفجير هذه الأشياء بطرق معينة؛ لكن هذه الممارسات وغيرها مما يمكن ممارسته في صفات كثيرة أنتم ممكن تستقرئونها كل أحد يعرف ذلك، هذه الأنواع من التفريق هو في الواقع تعامل نفسي مع هذه العواطف أو هذه الانفعالات القوية التي يريد الشاب بها أن يثبت شيء.

ولهذا نجد أن الشاب الذي يتحمس لمثل هذه الأشياء وتجد أنه يمارس في الشوارع ممارسات غير أخلاقية -في إيذاء الناس بعد المباريات مثلا، أو في مناسبات- غير أخلاقية البتة، هذا الشاب إذا صار ملتزما بالأخلاق الإسلامية تجد أن هذه الرغبة وهذه العواطف توظف توظيفا صحيحا لخدمة الأمة؛ بل لعبودية هذا الإنسان لربه جل وعلا.

إذن هذا العنصر لم يستفد منه المربون سيستفيد منه من يريد بهذه الأمة أن تنحرف عن أخلاقها الإسلامية.

(١) انتهى الشريط الأول.

السَّفَه وما يتعلق به، مظاهر الاستهتار، اللامبالاة، الطيش، فرض النفس، إظهار القوة بأنواع الشجار ونحو ذلك، هذه سمات فيه لا بد من التعامل معها، هذه الأخلاق التي توجد في الشاب لا بد أن يحل محلها شيء بحيث أن يكون هذا السبب وهذا الطيش وعدم المبالاة أن يكون موجهاً إلى شيء آخر؛ لكن يكون مع الناس والمجتمع ومع أقاربه وأسرته ومع معلميه ومع معطيات الأمة وما هو موجود أمامه أن يتعامل معه من واقع المراقبة لله جل جلاله، فإذا أُقيم في نفس الوقت مراقبة لله جل جلاله والخوف منه والالتزام والطاعة والعبادة فإنك سنجد أن هذه الانفعالات انفعالات السفه والطيش أنها ستكون محدودة لن يُقضى عليها، سوف يكون هناك نوع من الانفعال لكنها ستكون محدودة بالزمان والمكان.

أما الحديث عن الانفعالات العاطفية والصلات الجنسية فهذا شيء مركّز في الشباب لقوته واندفاعه استغله الأعداء، والآن تتجه جميع الوسائل إلى تفجير هذه الطاقات في الشاب؛ لأنها طاقات فطرية لأنها طاقات خلق الله جل وعلا الشاب عليها مثل الأكل والشرب أيضاً الرغبات هذه؛ لكن الأكل والشرب لا يمكن أن تقوم الحياة بدونه، أما هذه الرغبات العاطفية فيه أشياء يمكن أن تكون إيجابية فيه أشياء تكون ممرضة أو تكون مسببة للفساد في الناس.

العاطفة عنصر إيجابي، أو الذي يسمى الحب هو شيء إيجابي وجوده في نفس الشاب؛ لكن كيف يوجه الشاب من هذا، لهذا جاءت الشريعة بحب الله جل وعلا، وحب رسوله ﷺ، حب دين الإسلام، والرغبة في الدفاع عن دين الله جل جلاله، ونصرة السنة، الدفاع عن الحق، رد الظلم ونحو ذلك، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه إذا نمت في نفس الشاب تضاعلت بحسب علمه واتزانه وإقدامه على هذه الأشياء تضاعلت الاندفاعات العاطفية الأخرى؛ لأن العاطفة في القلب عاطفة تحل محل عاطفة، والإنسان الكبير يراه في نفسه، إذا دعا إلى الله جل وعلا وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر بالطرق الشرعية وكان مقدماً في الخير وجد أن مضايق الشيطان عليه في هذه الأمور -حتى في الكبير- يجد أنها ضَعُفَتْ مع البذل في الخير والاتجاه إلى طاعة الله وطاعة رسوله، فإذا ترك هذا الجانب فإن مظاهر الانفعال العاطفي تزيد حتى ربما يقع الزلل.

لكن هذا الاتجاه اليوم من الانسلاخ في كثير من مجتمعات المسلمين عن القيم الإسلامية والأخلاق الإسلامية والذهاب بلا شعور إلى الفكرة الغربية أو إلى دين الغرب أو إلى أخلاق الغرب في عدم الانضباط في أي من الأمور العاطفة والعلاقات بين الجنسين الرجال والنساء، لاشك أن هذا سيُفْضي ليس إلى قيمة أو خلق من أخلاق الإسلام أو شريعة من شرائع الإسلام، إنما سيفضي إلى نمو ولاء الشاب لمجتمع آخر، وهذه هي النقطة الخطيرة في استغلال العاطفة في هذا الأمر، الشهوات تذهب تأتي وتذهب، تفرغ وتذهب؛ ولكن أن تكون مستمراً في نفسه وتفكيره وفي علاقاته اليومية والأسبوعية إلى آخره ويرتب لها ويرغب فيها، فمعناه أنه ينتقل من انتماء إلى مجتمع إلى انتماء إلى مجتمع آخر، وبالتالي تفرغ الأمة من شبابها وحينئذ لا تدري ما الذي سيحل بها عند نمو هذا الأمر بقوة.

لهذا نقول: يجب حينئذ أن تعالج هذه الانفعالات بفتح الأبواب المشروعة في الشريعة من الزواج وتيسير أموره، وإقامة العاطفة الشرعية؛ الحب الشرعي الانفعال فيه، في حب الله ورسوله، وفي حب

الدين وفي حب الوالدين وحب الأسرة وحب المجتمع وحب الوطن إلى آخره، مما يجعله تفرغ هذه العواطف في عملية إنتاجية كما يقول أهل الاختصاص.

هناك عواطف أخرى نمرّ عنها.

الغرور والكبر أيضا بحاجة إلى تعامل حذر مع الشباب فيه، وتنمية شخصية الشاب يجب أن لا يكون بإعطائه غرورا بنفسه؛ يعني إذا اغترّ الشاب بنفسه فإنه يُقضى عليه؛ لأنك لا تعلم ما الذي يحدث بعد ذلك، وهذا يحدث في بعض التجارب أو بعض الدعوات، حتى الدعوات الإسلامية التي تدعو إلى الأخلاق والقيم الإسلامية؛ بل تدعو إلى العقيدة ونحو ذلك يربي المربون فيها أفراد هذه الجماعات أو غير أفراد الجماعات حتى في العلم والتعليم يربّهم على الغرور بأنواعه، تارة يكون غرور علمي، تارة يكون غرور قوة، تارة يكون غرور بأنه مصيب الصواب وأنه هو الذي لا ينقد وأن غيره ينقد، غرور بأنه لا يحاور بل الذي عنده هو الحق المطلق والذي عند غيره هو الخطأ المطلق ونحو ذلك من أنواع الغرور التي يتجه إليها الشباب، وإذا رُبّي الشاب على الكبر بأي نوع من الاتجاهات التربوية سواء كانت دينية أو غير دينية، إذا رُبّي على الكبر وانظروا فإنه يقضى عليه ويربي عنده ملكات نفسية ضارة بل تفضي إلى كثير من المحرمات، والنبي ﷺ نهى عن الكبر، وبين أن المتكبر لا ينظر الله جل وعلا إليه والله جل وعلا يبين في تربية لقمان لابنه في قوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ [١٨] وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ [١٩] [لقمان].

الأخلاق الإسلامية والقيم الإسلامية تدعو إلى الرفق والبشاشة لأهل الحق سماع ما عند الآخر الحوار لغرض رد الحق والمجادلة بالتي هي أحسن لهذا تجد في القرآن أن الله جل وعلا أمر بالمجادلة بالتي هي أحسن مع الجميع مع المسلم وغير المسلم والكافر جميع الأصناف حتى في الحوار مع الصغار ومع أتباع الأنبياء كان بالتي هي أحسن، موسى عليه السلام مع من عبدوا العجل كان كلامه معهم بلتي هي أحسن قال جل وعلا ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وقال أيضا جل جلاله في سورة العنكبوت ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ونحو ذلك من الآيات إذ يجب أن يتعامل مع هذه الانفعالات بما يخدم الأخلاق الإسلامية.

أسباب انحراف القيم عند الشباب:

- طبعا أكبر سبب وأعظم سبب هو ضعف الإيمان والتقوى والخوف من الله.
- السبب الثاني: النظر للعالم بأنها هي اللذة وهي الغاية، وضعف النظر للآخرة.
- الثالث: الشهوات بأنواعها سواء كانت شهوة المال، أو شهوة النساء أو شهوة الرجال أيضا عند النساء، أو شهوة البقاء.

• من أسباب انحراف القيم: الشبهات، والشبهات قد تُعرض على صيغة الشبهة، وقد لا تعرض على أنها صيغة شبهة؛ لكن تمارس يُدخل الشاب فيها والمجتمع فتحدث شبهات وانحراف في العقيدة وانحراف وبعد عن الولاء والبراء عن المحبة في الله والبغض في الله وانحراف فيما يجب أن يكون عليه الشاب.

عمر رضي الله عنه يقول لقبیصة بن جابر: يا قبیصة إني أراك شاب السن، فسيح الصدر، بين اللسان، وإن الشاب يكون فيه تسعة أخلاق حسنة وخلق سيئ فيفسد الخلق السيئ الأخلاق الحسنة فإياك وعثرات الشباب.

وهذا من أعظم الوصايا.

ونختتم بهذا وصلي الله وسلم على نبينا محمد.

[التعليقات والأسئلة]

سؤال (١): السلام عليكم، بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الحمد لله والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

في البداية طبعاً نحب أن نشكر معالي الشيخ صالح على هذه المحاضرة القيمة التي أتت في وقتها؛ لأن الشباب في هذه الأيام يمرون بتحديات كثيرة يحتاجون لمن يقف معهم ويساندتهم في مواجهة هذه التحديات، وأيضاً لابد أن نشكر جامعة الملك سعود لتنظيم مثل هذه الندوات وهذه المحاضرات المفيدة.

وأحب أن أتدخل بثلاث نقاط:

أولاً شيء أنا أعجبت باختيار هذه المحاضرة تعميق الصلة بين الشباب والقيم الإسلامية؛ لأننا في هذه الأيام بالذات نحتاج إلى حلول عملية للشباب لن تكن هناك فائدة للحلول النظرية والمواعظ والأشياء وإنما نحن الآن بحاجة أشياء ملموسة أشياء عملية تنفع الشباب ليستطيعوا مواجهة القيم الوافدة والتحديات الخطيرة التي يمرون بها هذه الأيام، والشباب في أمس حاجة اليوم في أن نعمق صلتهم بعقيدتهم الإسلامية وما ينبثق عن هذه العقيدة من قيم وتشريعات ومبادئ فاضلة.

النقطة الأولى أود أن أشير إلى أن الشباب في هذه الأيام بحاجة إلى أن نحصنه -إن صح التعبير- ونعطيهم لقاح واقى لقاح في شكل قيم ومبادئ إسلامية ليكون لقاح يقيهم من الأمراض المتمثلة في القيم الوافدة والأفكار الهدامة التي بدأت تنصب علينا من كل حدب وصوب، فهم بحاجة إلى تحصينهم بالعقيدة الإسلامية الصحيحة وبالحلول العملية التي تمكنهم من مواجهة هذه التحديات.

ومن هذا المنطلق لو تسمح لي يا معالي الشيخ...

الشيخ صالح: تفضل.

حتى دور وزارة الشؤون الإسلامية.

الشيخ: أنت تريد أن تصل إلى هذا.

... في الصيف الماضي كنت في جدة وحضرت بعض المخيمات الدعوية أصبح هناك تغيير في مفهوم الداعية لم يصبح الداعية هو الذي يجلس في مكتبه أو يلقي محاضرات وخطب ويأمرهم ويستمعوا، الآن نطلب من الداعية أن ينزل إلى الميدان مثل ما ذكرت فضيلتكم، ومطلوب أيضاً قبل هذا أن نعمل بحوث ميدانية وأن نستفيد من علماء الاجتماع علماء النفس وعلماء الحسبة في عمل دراسات ميدانية للشباب لمعرفة ماذا لديهم ماذا يفكرون، والآن حتى علماء النفس يربطون بين ما يفكر به الشاب ما يأخذ به من مبادئ وقيم -يقول: قل لي بماذا تفكر أقول لك من أنت، على نمط قل لي من تصاحب أقل لك من أنت- فيجب أن يتبين دور الداعية فينزل إلى الميدان يتلمس احتياجات الشباب.

النقطة الثانية: الشاب يجد تناقض أحياناً في مجتمعنا بين بعض القيم، هناك تناقضات بين قيم مثالية وقيم واقعية، في مجتمعنا الشاب ينشأ منذ الصغر يجد تناقض بين ما نقول وما نفعل، ما نأمر به وما نمارسه، بين القيم التي يجب أن تكون وما هو كائن بالفعل، نحن نؤمن بأن الإسراف حرام، ويجد في

مجتمعه وبيته هناك إسراف، وهلم جرا، فيه تناقض، يجب أن نصح هذه الناقضات حتى يعيش الشاب في توازن ويتبنى القيم الإيجابية. وأشكركم والسلام عليكم.

الشيخ صالح: شكرا للأخ على هذه المداخلة الجيدة.

وبالنسبة لدور وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد لاشك أني أؤيد الأخ على أن الوزارة يجب عليها أن تتجه أو أن تعمق الصلة في الشباب في برامجها، هذا نتفق عليه، وهناك خطوات فاعلة في هذا المجال ليس فقط بالمخيمات أيضا بأشياء أخرى.

الإشكال الحقيقة في أن الوزارة مثلا دائما الإنتاج ينبنى على تخطيط؛ يعني لابد أن يكون التخطيط واضحا دراسة واضحة.

أنواع التخطيط قد لا تكون -يعني التخطيط الدعوي مثلا، فهم نفسية الناس- لا يكون على مستوى الواقع، لهذا إما نتوقف حتى يكتمل التخطيط والنظرة والتأمل ثم بعد ذلك نبدأ، وإما أن نستمر ونبدأ على حدود ما ينتهي ويقر ويكون نافعا.

أظن الثاني هو الأول بل هو المتعين دينا وشرعا وأيضا مهمة الوزارة ما لا يدرك كله لا يترك جله. والوزارة أيضا لها خطاب إن شاء الله للطفل، لها خطاب للمرأة، لها خطاب لكل نوعيات المجتمع، لكن هذه تحتاج إلى وقت في دراستها.

ما نريد إذا قلنا الشباب المقصود به الشباب من الذكور أيضا الفتيات أيضا مخاطبات لهذا فيه برنامج للفتيات إن شاء الله في الدعوة وفي المحاضرات وفي بعض الأنشطة إن شاء الله تعالى سيكون مطروحا في الفترة القريبة.

الطفل فيه عدة أفكار تتعلق به في تركيز القيم والأخلاق عنده؛ بل في ربطه بالعقيدة؛ التوحيد التشريع الإسلامي وربطه بالعلماء من صغره واحترامه للدين وغيرته إلى آخره، فهذا أيضا نرجو أنه يكتمل بعض الشيء.

لكن أريد أن أقول: إنني من منطلق السؤال والبحث أني ما وجدت مع الأسف -وقد يكون موجودا- أنا ما وجدت دراسات علمية جادة ميدانية تخدم الوزارة في انطلاقتها نحو الناس، نحن نطلق نحو الناس ألا يفترض أنه يوجد دراسات ميدانية واضحة؛ يعني لا رسائل جامعية في علم النفس علم الاجتماع تجد أنها تردد أشياء نظرية؛ لكن هل نزلت إلى واقع مجتمعنا قالت: والله هذا هو الطريق. المجتمع يعاني مثلا من أشياء نفسية -ليس يعني الأمراض النفسية- الآن الإعلام بحد ذاته له مؤثرات نفسية أنواع من المؤثرات تؤثر عليه؛ يعني الإعلام لا يصدر مثلا إلا بعد دراسة نفسية الناس، دراسة الواقع الاجتماعي فهو نتيجة لأشياء، ولذلك صار مؤثرا، لكن نحن الآن طلبنا بعض الأشياء تتعلق مثلا بالطفل برامج واضحة للطفل المسلم؛ يعني كيف ينمى فيه، ما وجدت رسائل جادة يعني تحقق مثل هذا أو يمكن أن نبني عليها.

ولهذا أنا أرجو وهذا طرح علمي كبير نافع للمجتمع في ماضيه وحاضره ومستقبله إن شاء الله أن تتجه دراسات واقعية في التخصصات؛ تخصصات الدعوة تخصصات الشريعة والدعوة وعلم النفس وعلم الاجتماع فيما يخدم القطاعات الحكومية، يعني الآن فيه انعزال - في تصوري - ما بين حاجة القطاعات الحكومية حاجة المؤسسات حاجة الوزارات وما بين الذي يماس في دور العلم والجامعات.

الطالب مثلاً يختار الرسالة يبحث يتلمس هو الحاجة هذا خلاف الطريق الصحيح، الطريق الصحيح نقول للأمة أن وزارة الشؤون الإسلامية تقول لجامعة الملك سعود أو لجامعة الإمام أنا محتاجة إلى هذه البحوث فيوجه لها طلبة الدراسات العليا، قد تكون بحوث دينية يعني علمية، تكون بحوث دعوية، بحوث ميدانية في النفس، تأثيرات مختلفة، قطاع آخر مثلاً وزارة المعارف تقول: أنا محتاجة إلى هذا، تأتي وزارة الصناعة والكهرباء تقول أنا محتاجة لهذا، لماذا هذا الانفصال؟ فيه نوع عدم العلاقة ما بين حاجات الوزارات في الإنتاج وما يعمل في الدراسات العليا في عدد من الجامعات.

طبعا هناك دراسات مؤثرة وجيدة لكنها نبتت من غير منهج يعني نبتت من الاهتمام الشخصي من نزوله للميدان ورغبته الرغبة [الشديدة]، لكن ليس فيها خطة موضوعية في ذلك.

إذا ضربنا مثلاً في الدعوة: عقلية العامة في الخارج في الدعوة، الآن ندعو الدعوة تكون للجميع بنفس المنطق - أنا أقول لكم هذا مع الأسف، وهذا من نقد الذات ولا بد أن أعترف به لكي نسير نحو المستقبل بوضوح -؛ لأن الدعاة - طبعا لا يعابون في ذلك هم يبذلون جهداً كبيراً جداً ويؤدون أكثر مما يطلب منهم سواء في الداخل أو في الخارج -؛ لكن منطق الدعوة هل هو منطق الدعوة في المملكة هو نفس منطق الدعوة في الأرجنتين؟ ما فيه شك المنطق مختلف، هل هو منطق الدعوة في فرنسا؟ هل هو منطق الدعوة في أفريقيا؟ هل هو منطق الدعوة في أندونيسيا؟ ليس كذلك، رغبتنا أن يكون فيه شيء من ذلك، من التصحيح، هل هناك دراسات سعودية أو عربية في توضيح عقلية المسلمين الذين يعيشون في الغرب؟ في عقلية المسلمين الذين يعيشون في الشرق؟ هل هناك دراسات لعقلية غير المسلمين ونوع الخطاب الذي يتوجه إليهم؟ لاشك أن نوعية الخطاب مؤثرة في تحديد الهدف، ومؤثرة في تعليم الداعية، ومؤثرة في عمل الوزارة، ومؤثرة في سلسلة مؤثرات، هذه السلسلة فيها حلقات كثيرة غير موجودة.

ولهذا أعترف بأننا في الحقيقة نقصّر؛ لكن كل واحد عرضة للتقصير لكن ليس التقصير ناتجاً من أننا لا نريد أن نصل، التقصير لأننا لا يمكن أن نفعل أكثر من هذا، لأنه نحتاج في التفكير العلمي في التأثير إلى سلسلة من الأشياء، والمؤثرات نفقد عدد من الحلقات فيها.

لهذا إذا أمكن أن يدرس هذا الموضوع في الجامعات وأن تكون البحوث والدراسات أكثر خدمة لوزارات الدولة وللمؤسسات فيمكن أن تنطلق منها في المستقبل أظنه يكون أنفع إن شاء الله.

سؤال (٢): معالي الوزير حياكم الله بما أنكم وزير الشؤون الإسلامية نود التكرم بالنظر إلى طلاب كلية الدعوة والإعلام حيث أننا تقريباً من عام ١٤٢٠ ولم نجد فرصاً للتعيين، مع العلم أننا تقدمنا إلى وزارة الشؤون الإسلامية أكثر من مرة ولم نجد فرصة، لعلكم تنظرون في ذلك؟

الجواب: يقول لعلكم أو يقول: عليكم؟ يقول عليكم، والله على كل حال هذا موضوع شائك مثل ما يقول المثل: الجود من الموجد.

فالوزارة تمنى أن يكون عدد الدعاة فيها عشرين ألف، الخارج يحتاج، الداخل يحتاج، والدعوة تستقبل خريجين؛ لكن أيضا وفق الإمكانيات الموجودة وفق الوزارة، فهناك من المتخرجين الذين قدموا طلبات لهم أكثر من سبعمائة يريدون التوظيف في الدعوة وليس لدينا وظائف لتعيين هذا العدد، يعني الآن صارت المسألة مسألة انتخاب والتركيز على وجود في مناطق بعيدة نائية إلى آخره. والمسألة مشكلة كبيرة ليست خاصة بالوزارة؛ لكن أنا أود أن يكون من عنده أهلية أن يعمل لأننا بحاجة فعلا إلى الدعاة والمرشدين والوعاظ داخل المملكة وفي خارجها.

والحقيقة أن الشباب السعودي بالذات في الدعوة في الداخل وفي الخارج حقيقة أبدى تفاعلا وبذلا وتضحية يشكر عليها ويشاد بها، فأصبح إذا زرنا المراكز الإسلامية الوزارة عندها برنامج مثلا دعوة في أوقات من السنة مختلفة من ضمنها في رمضان يذهب عدد من دعاة الوزارة ومن حفظة القرآن ومن المستعدين للتعليم للإمامة بالمسلمين في مراكز مختلفة من العالم، العام الماضي بعث أكثر من مائة وخمسين أو نحو مائة وخمسين طبعاً على نفقة الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله، أثروا في الناس، الناس يطلبون يطلبون لأنهم يجدون القراءة الحسنة، يجدون لزوم المسجد، التفاعل مع الناس، يجدون التواضع، يجدون القرب، وهذا يعني أن الناس يحتاجون إلينا بلا شك، لا بد أن نطلق إلى الناس مؤثرين بما عندنا والله الحمد من عقيدة صحيحة ومن رغبة في نشر الخير.

سؤال (٣): السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

هل نستطيع أن نعتبر العولمة أداة من أدوات نزع أو هدم القيم الإسلامية من المسلمين أم أنها تعتبر وسيلة من وسائل الارتقاء بالقيم الإسلامية؟

الجواب: هذا موضوع ضخم وكبير؛ موضوع العولمة؛ لكن العولمة لها بداية ولها هدف، لها تعريف ولها هدف أنا أختصر المقام بالهدف.

الهدف من العولمة هي سيطرة القيم الغربية على العالم؛ بل سيطرة الولاء للدولار وبالتالي الولاء لأمريكا، وبالتالي تحول العالم بشكل أو بآخر إلى الدفاع عن الدولار لأنه يعتبر الإنسان دفاع عن نفسه الدفاع عن عمله وبالتالي الدفاع عن أمريكا بالخصوص، وهي فكرة نشأت من أمريكا ونهايتها سيطرة هذا الفكر على العالم.

العولمة عقيدة وخلق واقتصاد وسياسة إلى آخره لكن تصب في النتيجة التي ذكرتها باختصار.

سؤال (٤): ما هي الطريقة الصحيحة لتربية النفس على المبادئ الإسلامية الأصيلة، وهل هناك كتب تنصحون بقراءتها تساعد على تأصيل القيم الإسلامية الأصيلة في النفس؟

الجواب: على كل حال القيم والأخلاق والإسلامية هي نتيجة لديمومة العبد لربه بالطاعة والعبودية الحققة لله سبحانه وتعالى، وإذا صحت العبودية صحَّ الرغب في التوجه للدين والالتزام به فإنه يكون المرء حينئذ بنتيجة طبيعية يبحث عن كل خلق يلتزم به، يلتزم به لا لأن هذا الخلق في عقله أنه خلق حسن

أو غير حسن قد لا يدري الشاب أو المخاطب بهذا أن يصل إلى التفكير هل هذا الخلق أفضل من غيره أو غيره أفضل منه؛ لكن هذا سيلزم به لأنه دين لأن الله أمر به، فحينئذ يكون مصدر الأخلاق والقيم من التربية على كتاب الله جل وعلا وسنة رسوله ﷺ، هذه الأمة صار لها ذكر في العالم بين الأمم بل صارت الرائدة ألف سنة من الزمان وأكثر صارت الرائدة لأنها التزمت بالإسلام وقادت الناس به وربت الناس عليه، فحينئذ إذا رجعنا إلى سبب نهوضها وجدنا أنه الالتزام بالوحي المنزل من الكتاب والسنة في عهد الصحابة رضوان الله عليهم وفي عهد التابعين.

فالتربية التي نحتاجها هي تربية فيها مزج ما بين أصول التربية عند السلف بخطواتها أو عناصرها الكبيرة وما بين رعاية الواقع؛ يعني أحيانا قد يجد مثلاً شاب يكون عنده التزام بالإسلام يعني بالخلق الإسلامي وله دعوة وخير ولكن لا يستطيع أن ينقل هذا للناس لا يستطيع أن ينقل هذا للشباب لأسباب منها:

عدم واقعيته يعني الله جل وعلا يقول: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ فَتَبَيَّنُوا ۗ﴾ [النساء: ٩٤]، يعني كون الإنسان أو الشاب أو المربي ينقلب إلى ناقد أو الداعي ينقلب إلى ناقد دون أن يعرض ما عنده ويرغب فيه، هذا لاشك ليس هو الدعوة، الدعوة أن تعرض ما عندك لهذا الله جل وعلا ذكر الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف ثم النهي عن المنكر قال جل وعلا: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، والنهي عن المنكر هو من باب المحافظة على الموجود، أما الذي يقول للناس: لا، لا، هذا لا، هذا لا. ولا يقدم لهم برنامج التربية الإسلامية والقيم الإسلامية والأخلاق الإسلامية لن ينجح؛ لأن ضغط الآخرين سيكون أكبر من لآته المختلفة، وحينئذ لن يكون هناك تقدم في ذلك.

ولذلك التربية على الإسلام وعلى الأخلاق الإسلامية والقيم الإسلامية هو واجب أولاً الدولة، واجب مؤسسات الدولة، واجب المؤسسات الخيرية، واجب المربين في أي مجال يوجدون فيه، واجب كل مسؤول مهما صغرت مسؤوليته، واجب الأسرة في نفسها، واجب المرء مع زملائه، فإذن الكل يحتاج إلى المشي فيه، إذا اختل عنصر من هذه العناصر حصل منه خلل بقدره.

سؤال (٥): لعلكم أجبتكم حفظكم الله على سؤال مطروح أمامي ولكن الأمانة تقتضي أن أطرحه هو: تحدثتم حفظكم الله عن القيم وعن الشباب ولكن السؤال ما هي الجهة المعنية لتعميق الصلة بين الاثنين، وماذا عن مراقبة المصادر فيما يصل إلى الشباب من رسائل تؤثر في سلوكهم (الأسرة والتعليم) ومثل الوسائل الإعلان والانترنت.

علي أضيف سؤال: ماذا قدمت وزارة الشؤون الإسلامية للشباب السعودي تجاه هذا الموضوع في الميدان وليس عن طريق الكتيبات وما شابه ذلك.

وسؤال يتعلق بالموضوع وهو يقول: وقد يمل الشباب من كثرة ما يقال وي طرح حول ترسيخ القيم لديه وهو في وسط زحمة ما يعرض عليه من فتن؟ وهل نحن نعاني من نمطية عدم القيم وهل من وسائل منافسة لوسائل الفتن؟

الجواب: لاشك أن ترسيخ القيم في أنفس الشباب حركة في المجتمع هي التي ترسخ القيم، والمجتمع الملتزم بالإسلام كل أجزائه ترسخ القيم الإسلامية والأخلاق الإسلامية؛ بل كل أجزائه وكل وحدات المجتمع تدعو إلى الاستمسك بالعقيدة والشريعة وامثال العبودية الحققة لله جل وعلا بأداء الفرائض والانتها عن المحرمات؛ لأنه ما فيه جهة مسؤولة، وزارة الشؤون الإسلامية بحكم اختصاصها أو بحكم الإمكانيات التي لديها أدت - كما ذكرنا وبودي أن نؤدي أكثر نسأل الله الإعانة -.

وبالمناسبة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ليس لها عدد لمنسوبيها أو - تجاوزا - ليس هناك عددا لموظفيها، تصور وزارة لا عدد لمنسوبيها، ليش؟ هي وزارة الجميع هي وزارة للدعوة والخير والمساجد كل من يقوم بذلك له بالوزارة صلة وله حق على الوزارة أن تسهل له لكن وفق الإمكانيات، وفق ما عندنا من ذلك ونرجوا أن نوفق في ذلك.

تحقيق القيم الإسلامية يحتاج إلى اهتمام هذه المنظومة جميعا؛ لكن مثل هذه المحاضرة أو ما قد يلتقى في الموضوع نفسه إنما هو للمختصين للشباب للدعاة للمربين؛ يعني لبنة في بناء كبير، لكن الواقع أن تربية الشباب تحتاج إلى تربية عملية ميدانية تحتاج إلى عمل لهم بدائل عما يعيشون، كما ذكرت لكم في الحاضرة عن انفعالهم مثلا اللامحدود في الرياضة، عن انفعالهم اللامحدود في العواطف والشهوات، اندفاعهم اللامحدود بكذا وكذا إلى آخره، يجب أن تضع بدائل ومن أهمها أن يعيش في صحبة صالحة، وأن يعيش مع مجموعة تعطيه ما يحتاجه وترسخ فيه التوحيد والعقيدة والالتزام بالإسلام وبأخلاق الإسلام.

إذن الوجود في المجتمع في مجموعة وجوده في صحبة هذا يؤصل القيم في النفوس.

هذه مسألة كبيرة يجب على الجميع أن يؤدي كل واحد دوره فيها.

سؤال (٦): مجموعة أسئلة تدور حول ما وسائل تحصين الشباب ضد القيم الوافدة خاصة عن طريق وسائل الإعلام أو عن طريق الانترنت، وما هو دور المؤسسات التربوية؟ وما هو دور أعضاء هيئة التدريس في هذا الموضوع؟

الجواب: الحقيقة أن الأيام ولودة لكل غريب وغريبة، يجب الحقيقة علينا نحن المهتمين بترسيخ عبودية الناس لربهم جل وعلا، وترسيخ اهتمام الناس والشباب بالأخلاق يجب علينا أن نسابق ما يأتينا. لأن مثلا الانترنت هجمة كبيرة فيها فوائد كثيرة كأى وسيلة اتصال أو كأى وسيلة معلومات، وأنا أتصور أنه لا غنى عنها لا يمكن أن يقال لا غنى عنها إلا إذا قلنا لا غنى عن الهاتف ولا غنى عن المذياع ولا غنى عن وسائل الإعلام إلى آخره، لا يمكن الاستغناء عنها بشكل أو بآخر.

فهناك هجمة لاشك كبيرة، وهو جزء من هدف عالمي لإبادة الأخلاق حتى تتحصل الجهات التي تسعى وراء ذلك بالتبعية لهم، طبعا الوسيلة الاقتصادية وطلب الربح شيء معروف؛ لكن له نتيجة أيضا، والربح وسيلة لكن أيضا يحقق هدف آخر نفسي في المجتمعات، فما الحل؟

مثلا في الانترنت أنا أقول: ليس لدي حل في الحقيقة، ليس لدي حل أطرحه أمام ما يمارسه الشباب مع شبكات الانترنت لأن سابقا في الزمان السابق نقول ممكن أن تكون الشبهات تُمنع؛ يعني الكتب التي

فيها شبهات على العقيدة والدين أو هجوم على الدعوة أو نقد للقرآن أو نحو ذلك يمكن أن تمنع، الأمور اللاأخلاقية أو المنحرفة من صور وشهوات إلى آخره مما يمارسه الشباب وينظرون إليه من خلال الكتب والمجلات والأفلام إلى آخره سابقا تمنع، تنفذ نسبة لكن ليست النسبة التي تؤثر الآن على الشباب من خلال الإنترنت.

الإنترنت هي في الحقيقة وسيلة من وسائل العولمة وإلغاء الحدود؛ يعني بمعنى أنه ستكون الحدود هذه الجغرافية هي نمط عند الساسة عند الحكومات؛ لكن الحدود الفعلية هل هناك حدود فعلية في التأثير السياسي؟ لن يكون هناك حدود في التأثير السياسي، للتأثير الفكر والفلسفة لن يكون هناك، للتأثيرات الحزبية المختلفة لن يكون هناك، للتأثيرات الخلقية لن يكون هناك.

إذن ما العمل؟ أنا أقول ليس عندي حل لمثل هذا الانفتاح في هذا؛ لكن الحل أن نربي الناس، نرسخ فيهم الدين والعقيدة بحيث أنه ينصرف عن هذه رغبة عنها لا فرضا عليه؛ لأنه اليوم صحيح أن مدينة الملك عبد العزيز جزاهم الله خيرا يبذلون جهود كبيرة في ذلك تمنع مائة ألف مائتين ألف موقعا بالمواسفات تارة يضعونها عندهم على المنظم الذي يمنع أو بتحديد المواقع بالاسم؛ لكن هل الشباب، الآن يخترقون الواحد في بيته ويشوفون واش عندك في الكمبيوتر في بيتك فهل ما يخترقون هذه المواقع؟ يخترقون، والمقاهي الآن الذي يزورها، أنا أرسلت بعض الشباب للمقاهي هل فعلا ما يشوفون؟ لا، في المقاهي نفسها يرون هذه الصفحات والمواقع التي تشتمل على صور غير مرغوب فيها، أو على ما هو أشد من الشبهات والأفكار التي تناهض ما نحن عليه في هذا البلد.

إذن فليس لدينا الحقيقة إلا أن نحصن الشباب بقوة دينية تشمل الرد على الشبهات يعني قوة التمسك بالدين والعقيدة من ابتداء التعليم إلى الجامعة ووسائل الإعلام وفي المجتمع ككل وجميع وسائل الدولة، وأن يغير قدر الإمكان وينهى عن المنكر بقدر الإمكان وبما في الوسع، وإلا فهذا أمر كبير جدا ويجب أن نعمل ما نستطيع لكن أن يقضى عليه أو أنه يقال: لا يستفاد منه إلا في كذا.

صورة أخرى مثلا الإنترنت في بعض البلاد تمنع كتب أئمة الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وقبله ابن تيمية وتلامذة الدعوة رحمهم الله يعني الدعوة الإصلاحية في نجد التي قامت عليها الدولة، تمنع في عدد من الدولة، لكن بالإنترنت يطبعونها ويتوازعها الشباب فيما بينهم.

إذن اخترقت الحدود السياسية في جانب إيجابي؛ لأنه ما نريد أن نصل إلى الآخرين الذي يصادر في المطار وصل عن طريق هذه الشبكة وصل إلى الناس.

إذن فيه إلغاء للحدود بجميع أنواعها وإلغاء الفروق، فاستغلال هذه الشبكات ورد المنكر بحسبه وتقوية الصلة وتنمية الروح الدينية هي الحل، والعقل يبصر غيره ويعصم نفسه بإذن الله مستعصما بالواحد الأحد والنظر إلى الآخرة وما فيها من حساب وعرض وميزان، نسأل الله الإعانة على ذلك.

سؤال (٧): معالي الشيخ وفقكم الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: أود من فضيلتكم توضيح عدم الاستطاعة في العصر الحالي لتوقيف تأثير القيم الحالية على الشباب مع أن الإسلام في

الأساس أتى وأوقف تأثير أو تأثر الشباب والناس كلهم بالقيم، واستطاع مع أنها أشد وأعظم - في نظري - من القيم الحالية، أمل توضيح ذلك وجزاكم الله خيرا؟

الجواب: مومعناه عدم الاستطاعة معناه يعني أننا لا نعمل شيئا؛ لأن القيم الوافدة ستغلب ليس معناه عدم الاستطاعة هذه، ولكن عدم الاستطاعة حكم شرعي: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، إذا لم تستطع فأنت الحمد لله معفو عنك شرعا لأنك تعمل بما تستطيع، نزوات الشباب من يقول أنه يستطيع أن يوجد أو أن يكون الشباب بأي برنامج قصدي أي دعوة أنه يستطيع أن يجعل جميع شباب الأمة صالحين لا تأثير للقيم الأخرى عليهم، هذا في نظري غير واقعي ولا يمارس الواقع؛ بل حتى زمن النبوة من الشباب من مَارَسَ بعض الخطايا، أتى رجل للنبي ﷺ قال: يا رسول الله إني لقيت امرأة في الطريق فما من شيء يعمل به الرجل بالمرأة إلا عملته غير أني لم أنكح. يعني لم أطل إلى آخر الحديث، الرجل والمرأة اللذان زنيا وأقيم عليهما الحد، والذي سرق، والذي كذب، الرجل الذي أتى للنبي ﷺ - شاب - قال: يا رسول الله ائذن لي في الزنى. فقال له: «أترضاه لأملك أترضاه لأختك» إلى آخره، والآخر الذي قال: إني لأجد شهوة الزنى في صدري ووضع النبي ﷺ يده بين ثديه ودعا له، قال: فذهبت تلك من صدري. ونحو ذلك؛ يعني هذا موجود، يعني هذا موجود لا يمكن أنك توقف هذا لأنه من طبيعة الإنسان؛ لكن يجب أن نعمل للدعوة وأن نعمل لترسيخ هذه القيم وتوجيه الشباب لما ينفع، وإعطاء شيء واقعي للشباب؛ لأن أيضا في المربين والدعاة إذا كانوا يتكلمون على أشياء نظرية دائما الشاب لن يفصح لهم بهوموم، لن يفصح لهم بما يمارس فعلا، وحتى الوالد الأب إذا صار في معزل عن ولده سيمارس الولد كل شيء بغية عن أبيه فضلا عن من هو أبعد من أبيه.

إذا كان كذلك فلا بد من نزول للواقع والتحدث بشيء الترغيب والترهيب وفتح باب التوبة والمغفرة إلى آخره من الوسائل المشروعة التي أمر الله جل وعلا بها وأمر بها رسوله ﷺ.

لهذا أنا أقول: إن عدم الاستطاعة إذا كان المقصود بها ما ذكرت في المحاضرة؛ يعني عدم استطاعة كبت الشباب عن الانفعالات العاطفية؛ يعني ما يمكن، لا أستطيع أن أقول للشباب لا تنفعل عاطفيا، العاقل مع نفسه ربما حصل منه أشياء، فكيف الشاب الصغير الذي عنده من أنواع الاندفاعات ليس لديه وسيلة ولا يمكن أن يقال له قف؛ يعني مجموع الشباب يجب علينا أن نقول ذلك؛ لكن هذا يجعلنا أن نعود إلى الواقعية أكثر وأكثر.

أما إذا أردنا النظر إلى زمن النبي ﷺ وأنه بالإسلام ألغيت جميع القيم السابقة ورُسِّخت قيم الإسلام وانطلقت الأمة بشباب فتحوا البلاد وقادوا الناس إلى عبودية الله جل وعلا، هذا نمط آخر، نمط آخر تماما اجتمع فيه الجميع على دعوة ترسيخ القيم وعدم الخروج عنها، الجميع وكل مضادات هذه القيم أبرزت وطبقت الشريعة بكاملها، كلما طبقت الشريعة بكاملها ضعفت الممارسات الخاطئة، وكلما لم تطبق أو ضعف تطبيقها في كثير من الأنحاء أو في بعض الأنحاء وجد عدم الالتزام بالأخلاق.

إذن لا نقيس زمن الكل يتجه إلى العبودية إلى الله جل وعلا وزمن وما فيه مؤثرات فضائية ولا مؤثرات معلوماتية ولا اختلاط، لهذا قال بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين: أبتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر.

أحد الصحابة دخل على آخر -بدون ما اسمي الصحابة- في بيته وجد عنده وجد جدار قد كساه كسا الجدار؛ يعني كساه بقماش؛ فغضب الصحابي على أخيه قال: حتى الجدر كسوتموها. فخرج مغضبا، فخرج الصحابي الآخر يستسمحه فقال: يا أبا فلان إن نساءنا قد غلبنا في ذلك. قال: وتقول أن نساءكم قد غلبنكم. يعني هذه مصيبة ثانية، فإذا صار فيه تحول يعني فيه تداخلات كثيرة تنتج هذا، تداخل مع العجم، تداخل مع الحضارات الأخرى، الترف، الإسراف كثرة المادة هذه تنتج منظومة من الانفراط في القيم.

يعني الآن في وقتنا الحاضر أن القيم أننا نلقي شيئا بسيطا، وهو يجلس أمام يمكن ألف قناة فضائية من كل العالم ويرى فيها ما يرى؛ يعني الآن سابقا يقال للواحد إذا سافر لبلد مثلا وجلس فيها شهرين ثلاثة يتأثر، سافر إلى أمريكا أو إلى فرنسا أو إلى بريطانيا أو إلى أي بلد تأثر؛ يعني الحس الذي عنده وقوة الغيرة وإلى آخره حتى نظرتة إلى النصراني نظرتة إلى الكفار تتغير بشكل أو بآخر من جراء الممارسة والاختلاط شهرين ثلاثة.

الآن الأمة جالسة تعيش معهم كل يوم الشباب يعيشون معهم، يعيشون يوميا وليس ساعة أو ساعتين يعيشون أكثر اليوم، يمكن القنوات السعودية لا ينظر لها إلى الذين يهتمون بأشياء معينة؛ لكن الشباب اليوم، مستحيل، فهم يعيشون إذن إذا عاشوا ثلاث أربع سنوات يوميا مع هذا النمط من الحياة الغربي ليس هذا مدعاة إلى الانسلاخ، مدعاة لضعف القيم، مدعاة إلى كذا؟

فإذن المرابي عليه أن يبذل، وسلطان الشريعة والوازع الديني وأبناءنا والله الحمد شباب الأمة شيبا فطرة وربوا في محاضن من الأسر محاضن والله الحمد توجه التوجيه السليم وتبذل الكثير في ذلك والمدارس إلى آخره، الكل متجه إلى هذا؛ لكن يجب البذل أكثر فأكثر.

ونرجو إن شاء الله تعالى أن يتحقق المرجو من توجيه الناس أكثر وأكثر من الالتزام بالشريعة والقيم، ونسأل الله أن يرد كيد الأعداء إلى نحورهم إنه سبحانه سميع مجيب. وهذا السؤال أظنه الأخير.

سؤال (٨): قد انتشر في هذا الزمان ملابس نسائية لا تليق بالمرأة المسلمة، كيف نحد من هذه المشكلة؟ ثم هناك فرق كبير بين شباب العصر الماضي والعصر الحالي تجاه المعلم ما هي الأسباب كيف نرجع للمعلم احترامه، وجزاكم الله خيرا؟

الجواب: إرجاع الاحترام للمعلم احترامه هذا يحتاج إلى متخصص في العملية التعليمية بحيث يتكلم عنها.

لكن انتشار هذه الأشياء الواجب علينا إنكار كل ما يخالف الشريعة وإقرار وتأييد كل ما لا يخالف الشريعة، أحيانا تأتي أشياء جديدة ننظر فيها هل هي متفقة مع الشرع أم لا؟ إذا كانت متفقة مع الشرع

فمرحبا بها، إذا كانت مخالفة لنص من الكتاب والسنة مخالفة لنصوص الشرع وقواعده فيجب أن ترفض.

لعله يشير إلى نوع من العباءات التي انتشرت التي يسمونها العباءة الفرنسية العباءة ما أدري إيش الإيطالية، أنواع عباءات لونها يعني هي لباس جديد، وبحد علمي أنه صدرت تعليمات من وزارة التجارة بمنع هذه وسحبها من الأسواق وعدم السماح بتوريدها لأنه فيه موصفات للعباءة؛ العباءة التي يجوز بيعها مواصفات من الجهات المختصة فوجدت هذه أظنها بصناعة محلية بعضها وبعضها بالتوريد لكنها منعت رسميا فيما أعلم من جهة الأوراق اطلعنا على هذا.

ونرجو من الله أن يسدد الجميع، والحمد لله ولالة الأمور لدينا في مثل هذه المسائل لا تساهل فيها، وكل ما يضر بالمرأة والشباب الأخلاق وفي التزامه وفي طهره وفي عفاه هذا يسعى لرده؛ ولكن نسأل الله جل وعلا أن يهيئ من الأسباب ما يعين -يعني في الناس- بكراهة هذه الأشياء وعدم التفاعل معها.

